الخطاب الاستشراقي في الإعلام وإشكالية المحافظة على الهوية في ظل العولمة التحديات والآفاق المستقبلية -دراسة تحليلية

The Orientalist discourse in the media and the problem of preserving identity in light of globalization. Challenges and future prospects - An analytical study

د.سرمد جاسم محمد الخزرجي

جامعة تكريت- كلية الآداب

الأستاذة/ خولة خمري

الجزائر/ أستاذة وباحثة أكاديمية في تخصص قضايا التعايش بين الأديان والتعددية الثقافية-مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب بماليزيا.

الأستاذ/ محمد أمين حفاف

الجزائر/ أستاذ وباحث أكاديمي في تخصص العلوم السياسية.

جامعة الجزائر .

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد ابن عبد الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أفضل الصلاة و اتم التسليم.

يشهد العالم اليوم تفاعلات ثقافية رهيبة وهو ما يضع الأسرة خاصّة الأم أمام تحديات كثيرة نتيجة للانتشار الكبير لمد العولمة Globalisation المروج لها عبر الإعلام والتي اكتسحت العالم برمته وأصبح لها الدور الفاعل بشقيه الإيجابي والسلبي في تفعيل حركة التعليم وبث الأفكار، وبالتالي تزيد أكثر أسئلة الأمن الفكري عن طبيعة تلك الموجهات الفكرية ومدى توافقها مع هويتنا العربية الإسلامية.

أمام هذا العبث العالمي وتفشي الخطابات الإعلامية المروجة للفكر الاستشراقي لكن في ثوب جديد مغري كفكرة السوبرمان مثلا والفتاة باربي والقيم التي تحاول الترويج لها هذه الرسوم المتحركة وعالم الدجتال عموما، تطرح العديد من التساؤلات عن كيفية حماية أطفالنا خاصة نفسيا من ظاهرة مثلا التوحد فضلا عن ما الأدوات الفاعلة التي يمكن من خلالها توفير شروط الأمن الفكري لأطفالنا؟، وما الدور الذي تلعبه الأم في ذلك؟، ومدى أهليتها وتكوينها الفكري للوعي بمخاطر الأفكار المبثوثة بالإعلام؟.

هذه الأسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عنها متبعين آليتي التفكيك والتحليل كنوع من المقاربات السسيوثقافية، قصد سبر أغوار دور الأسرة خاصة الأم في حماية طفلها من مخاطر العولمة الفكرية كما سنعمل على تبيان الأبعاد والآليات التي تنتهجها تلك المنابر الإعلامية في غرس تلك الأفكار المسمومة مبينين السبل الكفيلة لتوفير شروط الأمن الفكري ودور الأم في ذلك.

الكلمات المفتاحية: الأمن الفكري، العولمة، المركزية الغربية، دور الأسرة، الإعلام الجديد.

Abstract

Our world today testfies many lurid cultural interactions ,that puts the family especially the mother in front of many challenges ,because of the large spread for the extension of globalization.which promoted by the social media. This media in the others hand swept the whole world and becomes an effective role in both it's positive and negative sides to motive the education and broadcast ideas .therefore it increases more questions of the intellectual security about the nature of intellectual routers and its compatibility with our Arab Islamic identity.

With this universal misleading and the propagation of the media speeches that promote for orientalist thought,but in a new shape which can be attractive like Superman and Barbie girl for example. The values in which try to promote to this thought are these cartoons and the digital world , generally it focuses on many questioned about how to protect our children especially from the psychological attitudes from outism for example. As well as effective tools can provide qualifications of the intellectual security for children ,? What is the mother's role through this topic? What is the ambit of her competence and intellectual formation to realize the risks of these media thoughts?.

All these questions we will try to answer them by following two mechanisms they are (Dismantling and Analysis) as a kind of sociocultural approaches. Meaning the role of the family mostly the mother in protecting her child from the globalization riskiness . As we will work dimensions to show and mechanisms that will be promoted by the media forums in instilling these poisoned thoughts by showing enough ways in providing intellectual security conditions and the mother's role .

Keywords: Intellectual Security, Globalization, Central Western, Family Role, New Media.

المقدمة

يُعتبر عصرنا اليوم عصر الإعلام وتعدد الوسائط الاتصالية بامتياز، فقد أصبحنا نعيش داخل قرية كونية صغيرة وسط انفتاح رهيب على جميع المستويات سواء الثّقافية منها أو الاقتصادية أو السياسية أو غيرها من المجالات، ووسط هذا المزيج الكوني فقد زَاد ذلك من صراع المركزيات العالمية المتهافتة على إحكام السيطرة على العالم خاصة ثقافيا تجسيدًا لمزاعم الامبراطورية العالمية، وبالتّالي تحقيق الفاعلية الحضارية على مستوى العالم من خلال التّحكم في آليات الموجهات الثقافية للوسائل الإعلامية بداية من الثقافة الموجهة للأطفال من خلال تلك الرسوم المتحركة، كل هذَا تحقيقًا لمصالح معينة تود تجسيدها هذه القوى العالمية على أرض الواقع ذات الأبعاد الاستشراقية.

وهو ما وضع الأسر وخاصة الأم أمام تحديات رهيبة لتوفير شروط الامن الفكري لطفلها فقديمًا في العصر الجاهلي مثلاً كانت المركزيات أو العصبيات القبلية تستعمل الشعراء كمنابر ثقافية تعكس أيديولوجيا ما إعلاءً لجهات معينة على حساب جهات أخرى، أما اليوم مع كل هذا التقدم التكنولوجي فقد أصبحت القنوات الفضائية ومختلف وسائل الاتصال هي الأداة الاستعمارية الأكثر فتكًا، فمع دخول الاستعمار مراحل جديدة شجع ذلك على استغلال هذه الوسائل بشكل كبير لتبرز الخطابات الاستشراقية إلى العلن، وهو ما نلاحظه في الوسائل الإعلامية من خلال القنوات الخاصة بالأطفال لعل أبرزها اللّعب على وتر هوية الطفل وتكوين معتقداته، إلى جانب التظليل الإعلامي وتزييف الحقائق حتى الدينية منها، فضلاً عن تلميع صور بعض الشخصيات أو التوجهات الأيديولوجية في مقابل تشويه أخرى تحقيقًا لمصالح تديرها أيادٍ خفية تعمل على تهديم مقومات الهوية العربية الإسلامية وهذا زيادة لإحكام السيطرة على العقل العربي منذ الصغر من خلال تلك الرسوم المتحركة.

من خِلال ما سبق سنحاولُ أن نرُوم في هذه الورقة البحثية اماطة اللّثام عن المركزية الغربية Central Western باعتبارها نوعًا من الأنواع المقنعة للسيطرة على عقول أطفالنا، في محاولة منا لمخاتلة تلك الأبعاد الامبريالية، وكشف كيفية توظيفها للرسوم المتحركة من خلال اللّعب على وتر وسائل الإعلام، لتعود الخطابات الاستشراقية من جديد بطريقة القوة الناعمة إعلاءً للثّقافة الغربية في مقابل تهميش أو إقصاء الثّقافة الإسلامية كثقافة عالمية لها دورها الفاعل في توجيه فكر الطفل، فقد أصبحت بسبب تلك الثقافة في حالة من الانفراط الكبير كنتيجة حتمية لتغلغل الاستشراق الإعلامي بسمومه الفكرية عابثا بمقومات الهوية العربية الإسلامية وعدم مقدرة الأم على استيعاب تلك الأفكار، وبالتالي نفثت تلك السموم القاتلة في نسيج فكر أطفالنا تحت غطاء التّثاقف وحوار الحضارات والمعرفة الكونية، هذا كُله سنحاول من خِلال تفكيكنَا أنطولُوجيًا له، في اطار جدلية لطالما شغلت العديد من المفكّرين العرب

وهي: جدلية الشّرق والغّرب.

المحور الاول

نحو فهم ملابسات الاستشراق الإعلامي الجديد:

إن الحديث عن الاستشراق لإعلامي الجديد هو حديث عن قديم عائد في ثوب جديد بوسائل مختلفة ومتنوعة تعكس التقدم التكنولوجي الهائل الذي وصلت له البشرية في عصرنا هذا عصر السرعة وتعدد وسائط الاتصال لتترجم هذه الحركة الاستعمارية الجديدة مقولة تحول العالم إلى قرية كونية ثقافية صغيرة، وهو ما زاد من حدة التأثير الكبير الذي تمارسه الوسائل الإعلامية المختلفة على اذهان اطفالنا ووضع الام امام تحديات جمة لتوفير سبل الأمن الفكري لطفلها، فالاستشراق الإعلامي الجديد يعمل على صياغة قوانين معينة رنانة لإنتاج المعرفة وغرسًا لنوعية خاصّة من الثّقافة في أذهان اطفالنا من خلال قوة ناعمة تعكس الأبعاد الإمبريالية التسلطية للمركزية الغربية وفق أجندة خارجية تمليها أطرافًا لطالما تحكمت في دواليب سيرورة الحركة الإعلامية بوطننا العربي وهو ما وضع الأسرة والأم بشكل خاص أمام تحديات كبيرة منأجل توفير شروط الامن الفكري لطفلها الذي يتلقى يوميا ملايين الرسائل الثّقافية التي لا تمت بأي صلة لهويتها ودينا من خلال هذه الوسائل الإعلامية التدميرية للذهن البشري.

ولعل خطابات القوة الناعمة أخطر من ذلك بكثير وذلك من خلال بعدها الاستشراقي الاستعماري الجديد حيث تنطلق من أمور عديدة أبرزها تحريك العقل البشري الرأي العام من خلال الخطاب الإعلامي وزيادة تأثيره على توجهات الجماهير فهي «القوة الناعمة» كما قال عنها الباحث رفيق عبد السلام تتلخص في «القدرة على الاحتواء الخفي والجذب اللين، بحيث يرغب الآخرون في فعل ما ترغب فيه القوة المهيمنة من دون اللجوء إلى استخدام القوة، أو بما يغني عن استخدام سياسة العصا والجزرة أصلا على ما يقول الباحث الأمريكي. وإذاما كانت القوة الصلبة تنبع أساسا من القدرات العسكرية والاقتصادية، فأن القوة الناعمة تتأتى من جاذبية النموذج وما يمتلكه من قدرة التأثير والإغراء لدى النخب والجمهور على السواء. فحينما تبدو السياسة الأمريكية مقبولة ومشروعة في أعين الآخرين على ما يقول جوزيف ناي، يتعاظم دور القوة الناعمة أكثر، وبموازاة ذلك تتراجع الحاجة إلى استخدام القوة العارية، وعلى العكس من ذلك، كلما تضخم استخدام القوة الإكراهية وضعفت شرعية مثل هذا الاستخدام، يتضاءل معهما النفوذ الثّقافي والسياسي والتجاري وكل ما يدخل ضمن دائرة القوة الناعمة»[1].

إذن أمام تجليات هذا الخطاب الذي كشف الأساليب الأيديولوجية الجديدة في السيطرة على الشعوب تدريجيا انطلاقا من داخل بيوتنا بداية بتغيير

(١) رفيق عبد السلام: القوة الصلبة والقوة الناعمة، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، ط٤، ٢٠١٥. ص١١.

صياغة عقول أطفالنا وهم في أول أيام تشكلهم الثقافي فتعمل هذه الخطابات الاستعمارية على تغيير الذهنيات نحو اللهث وراء ذلك النموذج المزيف الذي تم تجميل صورته من الصغر في أذهان الأطفال، فلا يخفى على ذي النظر الحصيف ما لهذه الأدوات من خطورة على منظومة القيم الثّقافية للأسرة والتي تحملها تلك الأدوات كخطاب استعماري جديد له تداعياته الخطيرة في تحويل الخطابات نحو وجهات معينة، فهي تعكس أبشع ما وصل إليه الإنسان من أساليب جديدة في الاستعمار، فقد حق لنا أمام هذه اللحظات التاريخية التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية خاصّة في ظل ما سمي بالربيع العربي المطالبة بالفعل لا القول الغوغائي الذي اعتدنا عليه في تلك الخطب السياسية الرنانة التي لم تزدنا إلا تراجعًا وخيبات تجاه التحولات الذهنية التي تشهدها الدول العربية في مسيرتها الفكرية عبر التاريخ فالأولى بنا هو الاهتمام بتكوين الأم وتفعيل مراكز ودور الاهتمام بالطفل ورعايته باعتباره اللبنة الأولى في طريق حفظ هويتنا من الاندثار بتوفير شروط الأمن الفكري وسط هذا التضارب الثّقافي العالمي.

المحور الثاني

الخطابات الاستشراقية بالإعلام وميكانزمات كسر ثقافة الأمة بأذهان أطفالنا

إن الغرس الثقافي الممارس بالإعلام أدى إلى غياب مفهوم الأمن الفكري وسبل بعث ثقافة العيش المشترك، وقد ظهر ذلك بشكل كبير في الثورة المصرية وهو ما أدى إلى الخروج عن مسار الإنسانية لتدخل تلك الثورة في متاهات سفك الدماء وبشاعة تلك الصور التي تلقاها أطفالنا وغرست بأذهانهم، لتفقد تلك الثورة كل مقومات النهوض بالبلاد كل هذا قام بتغذيته الاستشراق الإعلام في حين غفلة عن دور الأمن في توجيه فكر طفلنا، هذا الخطاب الإعلامي الذي تتحكم فيه أياد خفية لا تود الخير للأمة العربية، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على فقدان ثقافة الأمة بمجتمعاتنا العربية ونسفها بذهن الطفل العربي، فالأمة كما يراها المؤرخ والفيلسوف الفرنسي ارنست رينان Renan Ernest (١٨٢٣-١٨٩٢) في محاضرته التي ألقاها سنة ١٨٨٢ تحت عنوان «ماهي الأمة ؟» قائلا بأن الأمة هي: «تضامن قوي يكمن محتواه في الإحساس بالتضحيات التي حققناها أو في تلك التي نحن على استعداد لتحقيقها. فهي تفترض وجود ماض وتختزل في الحاضر من خلال واقع ملموس يتمثل في الاتفاق، والرغبة الواضحة في التعبير عن حياة مشتركة دائمة»[1]. وهو ما يبين لنا مدى العجز الكبير على امتلاك ثقافة قبول الآخر فانتشرت نزعة الغلو والتكفير لمن يخالفنا الرأي فيتم تدمير عقول أطفالنا بشكل يومي بخطابات لا تم بأي صلة لهويتنا الإسلامية.

إن «البحث عن أصل واحد وجوهر واحد

(١) باتريك سافيدان: الدولة والتعدد الثقافي، ترجمة: المصطفى حسوني، دار توبقال للنشر، ط١،٢٠١١ .ص ٣٩.

يؤدي ليس فقط إلى تخريب الثقافة، بل إلى أخطر الأصوليات»[1]. وهو ما أدى إلى العبث بمقومات الثّقافة العربية الإسلامية وتلك العادات التي كانت تحفظ التنوع الطائفي والتماسك الاجتماعي لمجتمعاتنا العربية خاصّة في العراق التي كانت فسيفساء جميلة من الطوائف المتجانسة فكريًا وعقديًا متعايشة مع بعضها البعض دون تكفير أو حقد، كل ذلك ذهب هباءً منثورًا لتبرز أصوليات شديدة الخطورة ممثلة في ما يسمى «بداعش» وغيرها من التنظيمات الإرهابية الشديدة التطرف، وهنا نبقي السؤال مفتوحًا عن كيفية وأسباب ودواعي دخول هذا التنظيم الإرهابي إلى العراق الحبيب...؟، ولم كل هذا الحشد الإعلامي الرهيب لإذكاء نار الفتن الإيديولوجية نشرًا للطائفية وتظليلاً للحقيقة...؟وأين هو دور الأم وسط كل هذا لحفظ فكر طفلها وتوجيهها الوجهة الصحيحة...؟.

إذن هي أسئلة كثيرة تطرحها الملابسات الخفية التي تكتنف هذه الشيفرة المتغلغلة في نسيج بنية الخطابات الإعلامية والتي تغذي عقول أطفالنا بشكل يومي، فميكانيزمات تشكلها وزرعها ماثلة أمامنا، عملاً على التخريب والتدمير الاستراتيجي والخلاق للفكر، فرسوم الكرتون كالسوبرمان الذي يهيم فيه أطفالنا حبا والفتاة باربي وكل ما يمت بصلة للديجتال تعج بإيحاءات جنسية تغرس في أذهان أطفالنا، بل وصل الأمر إلى حد التشكيك في كثير من المعتقدات الدينية الأساسية يتلقاها يوميًا أطفالنا في حين غفلة عن الأم، فيتم العصف بهوية الأمة داخل بيوتنا من خلال تلك الصور الذهنية التي يتلقاها أطفالنا يوميًا لتعشش بأذهانهم وتنمو مشكلة ثقافة ذاك الطفل فيصير شابًا فرجلاً فكهلا وهو على تلك الصور والايحاءات التي غرست فيه منذ الصغر لتكون نموذجه الفكري الذي يقرر خياراته المصيرية ونظرته للحياة عامة.

المحور الثالث

جدل المعرفي والايديولوجي في الخطاب الاعلامي العربي:

إن المعرفة والأيدلولوجيا لهما ارتباط وثيق بالاستعمار الفكري، بل هي أكبر من ذلك بكثير حيث تعمل على إدخال الأيديولوجيات المختلفة في صراعات وذلك بنشرها في مختلف وسائل الإعلام التي يتلقاها أطفالنا فيشبون على تلك الكراهية والغلو والتطرف لتنطبع فيهم وتتأصل مشكلة شخصيتهم في خين غفلة من الأم التي تتهاون و بشكل كبير تجاه ما يتلقاه طفلها بداية من الرسوم المتحركة ووصولا للأفلام السينمائية ذات الأبعاد الأيديلوجية العنيفة وهذا كله قصد الإبقاء على الفوضى بطريقة خلاقة ومنظمة مدارة من أطراف تتقن جيدًا فن إدارة الفوضى وتروجها في الخطابات الإعلامية، فهذه السياسات تحاول نسف الأيديولوجيات المختلفة وتفكيكها وظيفيًا، من خلال اللعب على وتر نسف الفكر المتواضع عليه من طرف تلك المجتمعات

(1) - Goytisolo (Juan),»Que peut la litterature«? , Le Monde Diplomatique, Novembre 1999, p.28.

والأسر، وبالتالي تحدثُ خلخلة عميقة لذلك البناء الاجتماعي Social Structure والبيوت التي أصبحت في حالة كبيرة من الشتات الفكري لتضع تلك الخطابات ايديولوجيا معينة باعتبارها الفكر النموذجي الذي يجب الاحتذاء به من طرف الأطفال بإيعاز من أطراف تعمل في الخفاء من وراء تلك الشبكات الإعلامية يتميزون باحترافية عالية جدا خاصة من خلال مختصين في علم النفس لمعرفة كيفية السيطرة على ذهن الطفل وتوجيهه الوجهة التي تخدم أبعاد القوى العالمية، وهو ما يجعل الدُول العربية باعتبارها قليلة الفاعلية في سياق التواصل الحضاري للعالم تواجه تحديات كبيرة لحفظ هويتها الفكرية أمام غطرسة مد العولمة الفكرية المهيمنة على العالم من خلال كبرى الشبكات الإعلامية التي تتحكم فيها قوى عالمية أغلبها صهيونية، وهو ما نراه خاصّة على مسرح واقع الخطاب الإعلامي لدول الربيع العربي.

وأمام هذه النّزعة الفكرية الإرهابية لأذهان أطفالنا والمبطنة بدواعي شيفرة الايديولوجيا الديمقراطية على الطريقة الغربية وغيرها من الأقنعة المصطنعة التي أوهمونا بضرورة تطبيقها في أنظمتنا العربية من خلال الترويج لها إعلاميا، أدى ذلك إلى ظهور أصوليات شديدة التطرف كرد فعل على تلك السياسات المتبعة من طرف الدول الغربية خاصّة الولايات المتحدة الأمريكية في علاقتها مع دول العالم الإسلامي «فهي من أي موقع تعبر عن ايديولوجيا، إنها بعبارة أدق تحاول تكريس نفسها ومنظومتها، من خلال نزع الشرعية عن أية أيديولوجيا واكسابها لنفسها بعد الإيهام بتحرر منظومتها من الأيديولوجيا»[1].

فالاستعمار الفكري في نسخته الإعلامية الجديدة المعولمة للذهنيات من خلال الغرس الثقافي للأفكار الاستشراقية أدخل العالم في مأزق حضاري مدمرًا للهويات ومقصيًا للتنوع الثّقافي الذي يحفظ كيان الدول، وهو ما يجعلنا نتساءل مع عالم الاجتماع الفرنسي ألان توران[2] حينما تساءل قائلا: «كيف نتخلص من الخيار الصعب بين عولمة كونية خادعة تغفل تنوع الثقافات، والواقع المنغلق للجماعات المتقوقعة على ذاتها»[3]. فمحاولة غرس ايديولوجيا وفكر واحد بقوة السلاح وزرع الأفكار الطائفية الخبيثة والمدمرة وعدم اعطاء مساحة كافية لباقي الهويات الايديولوجية، أدى ما أدى إليه من خراب في العراق وسوريَا وغيرها من الدول العربية

(١) -عبد الاله بلقزيز: في البدء كانت الثقافة، نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٨. ص١٣٣.

(٢) آلان توران: Alain Touraine أحد كبار علم الاجتماع المعاصرين، فرنسي الأصل من مواليد ١٩٢٥، من أهم مؤلفاته نقد الحداثة سنة ١٩٩٨ Critique de la modernité، براديغم جديد: من أجل فهم عالم اليوم ٢٠٠٥، الحركات الاجتماعية، ما هي الديمقراطية؟، وعدة مؤلفات أخرى.

https: // ar .wikipedia .org /wiki /% D8% A3 %D 9% 84 % D 8 % A 7 % D 9 % 8 6 - % D 8 % A A % D 9 % 8 8 % D 8 % B 1 % D 9 % 8 A % D 9 % 8 6

(3) Touraine (Alain), Pourrons nous vivre en- - .semble ?, Fayard,Paris, 1997, p.2

التي أصبحت تتجسد فيها قيم الوحشية والجنون الحضاري المرتبط بسياسات الدول الغربية وسعيها الحثيث لتطبيق هذه الشيفرة الاستعمارية في نسيج بنيتنا الفكرية بداية من الطفل وصولا للشيخ الطاعن في السن ليتم نسف تلك الآية التي لطالما ميزت أمتنا الإسلامية وهو آية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1]

المحور الرابع

نظرية الإقلاع الحضاري لمالك بن نبي ودورها في تحقيق الأمن الفكري

يعتبر مالك بن نبي أحد أبرز المفكرين الذين عكفوا على دراسة سبل النهضة العربية وأسباب هذا الضمور الفكري للأمة الإسلامية، فالتاريخ كما يقول: «لا يصنع بالاندفاع في دروب السير فيها وإنما يفتح دروبا جديدة، ولا يتحقق ذلك إلا بأفكار صادقة مع جميع المشاكل ذات الطابع الأخلاقي فعالة لمواجهة مشكلات بناء في مجتمع يريد بناء نفسه»[2] .

إذن هذه الفكرة اذا ما عملت الأم على غرسها في طفلها منذ الصغر وتفعيلها في مختلف وسائل الإعلام تحيا وتفعل فعلتها حينما تساعدها الظروف والعوامل التي توفرها الأسرة، كما أنّ الفكرة قد تـجد بل وتصطدم بأفكار أخرى، فهي ليست وحدها في الميدان وهو ما يضع الأم أمام تحديات أكبر وبالتالي إمّا أن تفرض ذاتها في عقر دارها قبل الغير أو قد تتنكر لها وتهاجر إلى تربة ووسط آخر لتحل محلها أفكار منحرفة ليكون «الخروج عن جادة الصواب والبعد عن الوسط المعتدل وترك الوسط المعتدل وترك الاتزان والتمسك بجانب الأمر دون حقيقته»[3]. فكلما ابتعدنا عن الوسط كلما ازداد التطرف وهو حال كثير من شبابنا، فكل ما يصنعه المرء هو نتيجة مباشرة لما يدور في فكره كما أن المرء ينهض على قدميه وينشط وينتج بدافع من أفكاره التي تغذيها خطابات وسائل الإعلام، كذلك يمرض ويشقى من أفكاره أيضا وهو ما يجعلنا نبحث وبشدة عن سبل ايجاد الأمن الفكري.

إنّ المجتمعات النامية لا تتميز بقلة المواد أو الوسائل المادية (الأشياء)، وإنّما بقصور في الأفكار وعدم فعالية استغلال الثروات المادية المتوفرة لديها وعجزها عن إيجاد سبل الاستثمار في الثروة العقلية الموجودة عند أطفالنا، في حين أن اليابان بلد فقير من حيث الثروات الطبيعية، لكنّه يملك ثروة عقلية فكرية من خلال الاهتمام بدور الحضانة ونشر الأفكار الإبداعية وتفعيلها من خلال الوسائل الإعلامية المختلفة، لذا فإن أهمية الفكرة ضرورية وتكوين الأم بشكل جيد أمر لا مناص منه لأي تغيير أو نهوض تربوي حضاري .

ولكن السؤال المطروح في هذا المقام هو :

أي الأفكار تحدث التغيير وتصنعه في أذهان أطفالنا؟ أهي كل إرث فكري أم هي أفكار جديدة ؟

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٢) مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة عبد العظيم علي ، مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .

(٣) محمد الزحيلي : الإسلام و الشباب، دمشق، دار القلم، ١٤١٤ه. ص١٦٣.

هل التمسك بالأصالة هو الذي يغيرنا؟، أم بالحداثة والفكر المعاصر؟ أم بالتوفيق بينهما؟.

يرى مالك بن نبي في هذه النقطة أن هناك نوعان من الأفكار :

١- أفكار ميتة وأفكار قاتلة .

٢- أفكار ذات فعالية صادقة .

فالأفكار الميتة هي التي ورثناها عن عصر الانحطاط وهي أكثر الأفكار قدرة على القتل من الأفكار الأخرى ويعرف مالك الفكرة الميتة بقوله: «فكرة خذلت أصولها وانحرفت عن نموذجها المثالي ولم يعد لها جذور في محيط ثقافتنا الأصلي»[١]. كما يعرف الفكرة القاتلة بقوله: «فكرة تقدمت شخصيتها وقيمتها الثّقافية بعد أن فقدت جذورها التي ظلت في مكانها في عالمنا الثقافي الأصلي»[٢].

وعليه يوصي مالك بن نبي على ضرورة أحداث ثورة ثقافية فكرية تغير الكثير من المفاهيم الفاسدة الباطلة المتفشية في أذهان أطفالنا وشبابنا، الدخيلة علينا خاصّة وأنّ الصراع الحالي صراع ثقافي يركز على الطفل بشكل كبير بالدرجة الأولى خاصة وأنه في طور التشكيل الفكري، كما علينا بمنظومتنا الأخلاقية الفكرية داخل بيوتنا وتمييز غثها من سمينها وأصيلها من دخيلها، وصحيحها من سقيمها حتى نتكيف مع الثقافات العالمية، علينا أن نوجد كل ما في وسعنا من وسائل نشر الفكر الوسطي بأذهان شبابنا وأطفالنا حتى نحدث التغيير الثقافي الذي يصحبه النمو دون أن نخشى الثقافات الأخرى بدعوى الذوبان.

المحور الخامس

بين الطفل العربي والطفل الأوروبي اختلاف للعقول أم اختلاف للظروف

إنّ الاختلاف بين الطفل العربي والطفل الأوروبي ليس مردُّه اختلاف في الطباع أو في الاستعداد الفطري فمثلا الطفل العربي عندما يدرس في مارس عربية لا يقل عن زميله الأوروبي فطنة واجتهادا ونجاحا، إلا أنّ هذا التلميذ الأوروبي ينصرف بعد ذلك للعمل في وسط يساعده على تنمية ثقافته ويلائم الجو الاجتماعي فتثمر وتزدهر، أمّا الطالب العربي فيعود بثقافته تلك الى أرض غريبة عنها فيحاول غرسها ولكن سرعان ما تنكمش ويعتريها الذبول، وحتى وإن لم تتم فإنّها لا تجد في التربية الاجتماعية ما يساعدها على الإثمار والنمو فتبقى شجرة ذابلة تعيش بين الحياة والموت، ولربما تحولت إلى فكرة تدميرية تنشر التطرف والتكفير وهو ما استغلته الجماعات الإرهابية فزاد من الانحراف الفكري «الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية والتقاليد والأعراف.. والنظم الاجتماعية»[٣]. ما انتج بدوره تخلفا فكريا ساعده ذاك المناخ العام بالأسرة في عدم استيعاب المرأة للتغيرات الفكرية الحاصلة لطفلها، فالتخلف الفكري كما يقول المفكر الإسلامي

(١) المرجع نفسه : ص ٢٠٩

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٠٩

(٣) علي بن فايز الجحني: رؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، عدد ٢٧، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٠، ص٢٦٤.

عبد الكريم بكار هو: «وضعية عامة تصيب الأمة نتيجة القصور المستمر لقرون طويلة في أعمال العقل وطرق بحثه عن الحقيقة»[1]فأي واقع ينتظر مستقبل طلابنا في ظل هذا الوضع المتأزم؟. وهنا تبرز بأذهاننا حادثة دريفوس وثورة الطلاب الفرنسية حينما ثاروا على النظام التربوي والنسق الثقافي عامة فالمثقف هو منارة علمية،فصفة المثقف كما يقول سارتر «لا تطلق على علماء يعملون في حقل انشطار الذرة لتطوير أسلحة الحرب الذرية وتحسينها: فهم محض علماء، لا أكثر ولا أقل، ولكن إذا ما انتاب هؤلاء العلماء أنفسهم الذعر لما تنطوي عليه الأسلحة التي تصنع بفضل الجهود هم وأبحاثهم من طاقة تدميرية، فاجتمعوا ووقعوا بيانا لتحذير الرأي العام من استخدام القنبلة الذرية، غدوا من فورهم مثقفين، وذلك بالفعل، لأنّهم تجاوزوا صلاحياتهم «[2].

لعلّ ما يمكن أن نقوله هنا هو أنّ سارتر باعتباره أحد أقطاب الفكر الغربي بمثاله هذا جعل معيار وصف المثقف بهذه الصفة هو الوعي والدفاع عن القيم الإنسانية التي يفتقدها العديد من طلابنا، ولعلّ هذا النوع من المثقفين هو الذي يحتاجه حاضر أمتنا، فالفكر الآمن البعيد عن الاختراقات الفكرية المتطرفة يجعل من المثقف قادرا على فهم واقعه بوعي لما يجري حوله خاصة تلك التي تروج في مختلف وسائل الإعلام هذا الوعي الذي اكتسبه من داخل بيته أثناء تكوينه الفكرية في الصغر هو الذي يمده بالقوة والقدرة على التغيير فضلا عن الاعتزاز بالهوية.

فالمثقف كما يقول ديكارت «ناقد اجتماعي يسعى إلى نقد الممارسات انطلاقا من مرجعية نظرية موحدة و محددة»[3]. فالمثقف الحق يتميز بالحس النقدي، والوعي الكبير الذي يجعله قادرا ومتمكنا من تفحّص سلوكيات مجتمعه، وإيجاد السبل الكفيلة التي تسهم في تعديلها أو تغييرها لتكون عملية التغيير من منطلق مرجعية إسلامية واضحة ومحددة المعالم وهو ما نحتاجه في راهن عصرنا اليوم عند المرأة العربية المسلمة والتي يغيب عنها كثيرا الحس النقدي في تفقد ما يبث في مختلف وسائل الإعلام ويتم تغذية عقل ابنها به.

وهو ما يحتم علينا تفعيل دور المرأة المثقفة بشكل خاص كونها اللبنة الأولى في أي عملية تغيير والنهوض بعقول أطفالنا بطريقة عملية وتجنب التنظير فإن «الاستغراق في التعليم المستند بصفة كلية أو شبه كلية إلى التنظير هو مدعاة للانحراف الفكري، حيث تشير ملحوظات التربويين حول سلوكيات الطلاب -جنبا إلى جنب- مع ملحوظات الآباء والأمهات إلى حدوث اختلالات فكرية عديدة على الجيل الجديد

(١) عبد الكريم بكار: التأزم الفكري في واقعنا الإسلامي المعاصر، مركز الراية للتنمية الفكرية، دمشق ١٤٢٧هـ، ط ١، ص٢٣.

(٢) جون بول سارتر : دفاع عن المثقفين ، ترجمة جورج طرابيشي ، منشورات دار الآداب ، ط١، ١٩٧٣. ص ١٣.

(٣) عز الدين جلاوجي : صحيفة الخبر ، العدد ٤٥١٠ ، ص ١٦.

يمكن أن تعزى إلى كثرة التنظير الذي يتعرض له الطلاب في مدارس التعليم العام الذي لا يصاحبه أو يقترن به ما يحققه علميا في عالم الواقع»[1]. وهنا تبرز نظرية مالك بن نبي عن التغيير الثقافي الفكري فقدأولى مالك بن نبي الثّقافة أهمية كبرى في عملية التغيير لما لها من أهمية في النهوض بعقول أطفالنا وتشجيعهم على استثمار مواهبهم، حيث يرى أن الإيمان بصدق الفكرة وصحتها والإيمان أو بالأحرى الاقتناع بها يؤهلان عقول أطفالنا والإنسان عامة لكي يغير ذاته ومجتمعه بل وأمته ويصنع مجدها ولعل ذلك يكون ب:

- تطوير المناهج بما يواكب عصر الانفتاح والتطور التقني الحديث.

- تعديل اتجاهات الطلاب والمجتمع نحو التخصصات التقنية والإنسانية على حد سواء.

- العناية بإعداد وتطوير وتدريب الأمهات وإدخالهم في دورات تكوينية، والنظر في سبل تطوير النظام التعليمي تجنبا للخطابات الاستشراقية الجديدة التي تعبث بعقول أطفالنا بشكل يومي من خلال تلك الرسائل المشفرة عبر وسائل الإعلام.

- دراسة أسباب انخفاض مستوى مخرجات التعليم العام، والتركيز على متطلبات سوق العمل، والواقع السلوكي للتلميذ وتوجيه الأم بما يخدم خلق هذه الفرص في ذهن ابنها.

إن المؤسسات الأسرية والتربوية الرسمية تعد محاضن أولى، قد أسست لخدمة المجتمع، وتلبية حاجات أفراده التربوية والتعليمية والاجتماعية والترفيهية، لتشغل الفراغ الذي قد ينتج من غياب مثل هذه الأدوار المهمة للدولة، «فالمدرسة التي هي المؤسسة التربوية الأولى تعرض على الطالب سلوكا معينا يناسب وظيفتها ودورها في المجتمع، وهو يذهب إليها من منطلق احترامه لها وتقديره للدور الذي تؤديه في بناء شخصيته العلمية والأدبية، ولا يتفق سلوك الطلبة مع الدور الذي يفترض أن تقوم به المدرسة، فالطالب يتعامل مع رفاقه بأسلوب يتنافى مع ما هو مطلوب من سلوك مدرسي، فهو يستخدم ألفاظا نابية ويعتدي على زملائه»[2]، وربما يرجع السبب إلى أن «المدرسة بوضعها الراهن أعطت معلومات ومعارف ربما كانت عصرية حديثة ولكنها لم تفلح في صقل السلوك وتهذيب الخلق عند من تعلمهم»[3]. فأنتج ذلك فكرا منحرفا بعيدا عن روح الإسلام السمحة نتيجة تلك الخطابات الاستشرافية، وهو ما جعل الأستاذ نبيل شبيب يحترز بقوله: «يميل الخطاب الوسطي إلى التركيز -حسب احتياجات

(١) محمد شحات الخطيب: الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني و الدولي، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٥. ص١٢٩.

(٢) خليل عودة: السلوك اليومي لطلبة المدارس في قطاع غزة، وقائع المؤتمر الأول للتعليم الفلسطيني التعليم الفلسطيني إلى أين؟ المنعقد بجامعة بيت لحم في الفترة ٢-٣/ ١٠/ ١٩٩١. ص٤١٠.

(٣) محمد صلاح الدين مجاور: تدريس التربية الإسلامية أسسه وتطبيقاته التربوية، ط٤، دار القلم، الكويت. ١٩٩٠، ص٣٢٩.

معركة جانبية دخيلة- على جوانب من الإسلام دون أخرى، أو إلى إبراز بعض ميزاته على حساب بعضها الآخر، تماشيا مع ما يقال عن ضرورات الرد على أفعال الآخر في الغرب، وما يطرحه وينطوي على افتراءات أو مغريات وغضبة عامة المسلمين ازاءها، او تماشيا مع ما يقال عن ضرورات الواقع القائم في البلاد الإسلامية نفسها، واحتياج الممارسات السياسية إلى نفي اتهامات التطرف والإرهاب وما شابه ذلك عبر أطروحات السلام والتسامح وحدها، رغم التعرض لعداءات الآخر»[1]. وهو ما يجعلنا نبحث عن سبل تحقيق الإنعتاق من الخطابات الاستشراقية الجديدة الساعية لعولمة للفكر الإسلامي من خلال تدمير البنية العقلية لأطفالنا.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

من خلال ما طرحناه آنفًا في ورقتنا البحثية هذه من إشكاليات وتساؤلات عويصة، وسعيًا منا لإيجاد الحلول المناسبة للوقوف في وجه هذا التسونامي إن جاز التعبير هذا الخطاب الجارف للهويات الدينية والثقافات المتنوعة بوطننا العربي، نطرح في خاتمة مقاربتنا هذه بعض الأفكار والتوصيات التي نرجو أن تسهم في ترميم تصدعات النظام التربوي العربي وإيجاد من خلال توفير شروط الأمن الفكري الترياق المناسب للتصدي للاختراقات الفكرية الحاصلة لأطفالنا من خلال الخطابات الاستشراقية الجديدة المبثوثة في وسائل الإعلام وذلك لتحقيق سبل انعتاقنا من مد خطاب العولمة الإعلامية المحرضة على العنف والإرهاب والتكفير، وبحثا منا عن سبل إرساء دعائم الاستثمار في عقول أطفالنا باستغلال أدوات العصر المختلفة وتفعيل دور الأم في ذلك بعيدًا عن خطابات الاختراق الفكري.

فلابد من تضافر جهود جميع الأطراف سواء على مستوى حكومات الدول العربية فيما بينها من تنسيقات، أو على مستوى الشعوب فيما بينها، أو على مستوى النخب الثّقافية بما أنها فئة تنويرية لبعث سبل النهوض بعقول أطفالنا لمحاربة الاختراقات الفكرية وتوجيه الخطاب الإعلامي بما أنه أداة تأثيرية كبيرة وأداة تربوية تعليمية بما يدعم ذلك من خلال برامج إعلامية تربوية تحث على تنمية العقل وتنمية المواهب، وضرورة دعم منظّمات المجتمع المدني لذلك من خلال انتشارهم بالمدارس والعاهد والجامعات والإشهار لهذه المنظمات عبر مختلف وسائل الإعلام تشجيعا على نشر التوعية بأهمية الاستثمار في العقل البشري والبحث عن الكفاءات الموهوبة.

ومن الضروري إقامة تجمع عربي عالمي يجمع جميع المختصين في الخطاب الإعلامي التربوي يكونون أصحاب كفاءات عالية لوضع مناهج تربوية تعليمية

(١) نبيل شبيب: «الوسطية الإسلامية .. المفهوم، التحديات، الأدوار»، مؤتمر المنتدى العالمي للوسطية، صنعاء، ٥-٦ / ١٤٣١هـ - ١٩-٢٠/ ٥/ ٢٠١٠م.

عربية إسلامية بحتة توجه الأم الوجهة الصحيحة في كيفية التعامل الفكري مع طفلها بعيدًا عن الوصايات الغربية بكيفية سير منظومتنا الإعلامية، وإقامة أكاديميات عربية ذات مستوى عال جدًا تهتم بتكوين الأطفال يشرف عليها أخصائيون شرفاء لتخريج شباب اكفاء في مجالات شتى ينتشرون فيما بعد بباقي البلدان العربية خاصة في دول الربيع العربي حفاظًا على الهوية الإسلامية من مد الاختراق الفكري، ونشرًا للوعي الديني السليم البعيد عن التطرف والتكفير وغيرها لتحقيق الإقلاع الحضاري الذي حث عليه مالك بن نبي رحمه الله.

إن لمّ شعث الانفراط الهوياتي للهوية الفكرية العربية الإسلامية في إطار جدل الشّرق والغّرب المغلف بلعبة العولمة للفكر الاستعماري الغربي ومكائده المنتشر في وسائل الإعلام لن يتأت إلا من خلال العودة لمنابع تراثنا العربي القويم من جميع جوانبه ومختلف مجالاته، وتفعيل كل تلك الذخائر النفيسة في أنظمتنا الفكرية كالإمام العلامة الماوردي الذي عرف بفكره الوسطي لبعث من خلاله اعتزازنا -خاصة فئة الشباب- بهويتنا وكياننا الحضاري دون التغافل عن الدور الفاعل للأم في ذلك من خلال تكوينها فضلا عن ضرورة مد جسور التّفاعل مع الآخر لإقامة هوية عربية إسلامية عالمية فاعلة في إطار تبادل العطاء الحضاري العالمي النابذ للتعصب، لتحقيق إقلاع حضاري نابع من كنف الإنسانية، فالعمل على الخروج من دائرة الوصاية الغربية على أنظمتنا التربوية العربية لن يتأت بشكل سريع، وإنما لابد من العمل على تحقيقه على المدى البعيد للتخلص من رواسب الأبعاد الاستعمارية للخطابات الاستعمارية الجديدة المنتشرة بوسائلنا الإعلامية، وذلك كإقامة منظمة عربية فكرية عالمية تسعى للعمل على تحقيق الوحدة العربية المنشودة بمختلف طوائفها، وسبل الاستثمار في العقل البشري والحفاظ على قيم ثورات الربيع العربي وقيم الثّقافة العربية عامة من وحدة قومية وترابط أخوي إسلامي يجمع جميع الأيديولوجيات، والتخلص من تبعات الخطاب التكفيري ونتائجه المدمرة للبنية التحتية والفوقية لعقول أطفالنا، وهو ما يحتم علينا تكثيف الجهود أكثر سياسيًا وعسكريًا وقبل كل هذا فكريًا تحقيقا للإقلاع الحضاري الذي حث عليه مالك بن نبي واقتلاع الفكر التكفيري التطرف من جذوره، وكشف أصوله الفكرية الحقيقية المبثوثة في الخطاب الفكري الغربي، والمفعل بإحكام شديد بأنظمتنا التربوية، لزعزعة أمن واستقرار دولنا العربية خاصّة دول الربيع العربي.

لابد من إقامة مؤتمرات عالمية دائمة سنوية تجمع جميع النُخب العالمية البارزة من جميع الأديان ومختلف الثّقافات والأعراق، من أجل التباحث عمليًا لإيجاد أدوات تحقيق سبل المحافظة على هويات الشُعوب، وكيفية التخلص من الأطر المعرفية للخطابات الاستعمارية الجديدة، وسلبيات العولمة الفكرية المدمرة لعقول الأطفال، وهيمنتها الثّقافية على ثقافات الشُعوب المستضعفة عن طريق آليات الإستشراق

الإعلامي الجديد والمدجنة بأيديولوجيات ذات توجه صليبي حاقد على أن يرى إقلاع حضاري إسلامي يستثمر في عقول أطفالنا وكذا ثورات عربية فكرية تنزع غبارًا جثم على صدورنا لسنوات طويلة.

من الضّروري بعث سبل تجديد الثّقافة الإسلامية بأنظمتنا الأسرية والتربوية بغرس ثقافة إسلامية سليمة ولاسيما الخطاب الديني، وتفعيل دوره للحفاظ على الهوية الإسلامية بعيدًا عن جدل التعصب للعرق أو المذهب أو العشيرة...الخ، وقوفًا في وجه الخطاب الإستشراقي الإعلامي المغلف بالفكر الاستعماري الغربي، وهذا تأسيسًا لنوع من الإقلاع الحضاري والاستشراف المستقبلي لأمة جديدة ولدت من رحم الانبعاث الحضاري الإسلامي، بعيدًا عن الصراع الأيديولوجي المدعم من أطراف خارجية تكن الحقد والكره للهوية الإسلامية فالطفل العربي يعتبر أذكى الأطفال بالعالم رغم الظروف القاهرة التي تحيط به من كل جانب.

قائمة المصادر والمراجع

- سورة البقرة آية: ١٤٣.

١. باتريك سافيدان: الدولة والتعدد الثقافي، ترجمة: المصطفى حسوني، دار توبقال للنشر، ط١،٢٠١١. ص ٣٩.

٢. جون بول سارتر : دفاع عن المثقفين ، ترجمة جورج طرابيشي ، منشورات دار الآداب ، ط١، ١٩٧٣. ص ١٣.

٣. خليل عودة: السلوك اليومي لطلبة المدارس في قطاع غزة، وقائع المؤتمر الأول للتعليم الفلسطيني التعليم الفلسطيني إلى أين؟ المنعقد بجامعة بيت لحم في الفترة ٢-٣/ ١٠/ ١٩٩١. ص٤١٠.

٤. رفيق عبد السلام: القوة الصلبة والقوة الناعمة، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، ط٤، ٢٠١٥. ص١١.

٥. عبد الكريم بكار: التأزم الفكري في واقعنا الإسلامي المعاصر، مركز الراية للتنمية الفكرية، دمشق ١٤٢٧ه، ط ١، ص٢٣.

٦. عز الدين جلاوجي : صحيفة الخبر ، العدد ٤٥١٠ ، ص ١٦.

٧. علي بن فايز الجحني: رؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، عدد ٢٧، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٠، ص٢٦٤.

٨. مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة عبد العظيم علي ، مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .

٩. محمد الزحيلي الإسلام و الشباب،دمشق،دار القلم، ١٤١٤ه. ص١٦٣.

١٠. محمد شحات الخطيب الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني و الدولي، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٥. ص١٢٩.

١١. محمد صلاح الدين مجاور: تدريس التربية الإسلامية أسسه وتطبيقاته التربوية، ط٤، دار القلم، الكويت. ١٩٩٠، ص٣٢٩.

١٢. نبيل شبيب: «الوسطية الإسلامية .. المفهوم،التحديات،الأدوار»،مؤتمر المنتدى العالمي للوسطية،صنعاء، ٥-٦ / ١٤٣١ه - ١٩-٢٠/ ٥/ ٢٠١٠م.

١٣. عبد الاله بلقزيز: في البدء كانت الثقافة،نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية،أفريقيا الشرق،المغرب، ١٩٩٨. ص١٣٣.

المصادر الانكليزية

1) Touraine (Alain), Pourrons nous vivre ensemble ?, Fayard,Paris, 1997, p.2.

2) Goytisolo (Juan),»Que peut la litterature«? , Le Monde Diplomatique, Novembre 1999, p.28.

مصادر الانترنت

١) آلان توران: Alain Touraine أحد كبار علم الاجتماع المعاصرين، فرنسي الأصل من مواليد ١٩٢٥، من أهم مؤلفاته نقد الحداثة سنة ١٩٩٨ Critique de la modernité، براديغم جديد: من أجل فهم عالم اليوم ٢٠٠٥، الحركات الاجتماعية، ما هي الديمقراطية؟، وعدة مؤلفات أخرى.

https: // ar .wikipedia. org /w iki/ %D. 8% A3 %D 9% 84 %D 8% A7 %D 9% 86 -% D8 %A A% D9 %8 8% D8 %B 1% D9 %8 A% D9 %8 6